مجلة بحث وتربية
المعهد الوطني للبحث في التربية
ISSN: 2253- 0282 / E-ISSN : 2710 - 8104
المجلد: 13 / العدد: 02
ديسمبر 2023
ص ص: 42 - 53

فكر العلامة ابن باديس والمنظومة التربوية الحديثة

-مقاربة تربوية فكرية من خلال نماذج مختارة-

The thought of the scholar Ibn Badis and the modern educational system -An intellectual educational approach through selected models-

عماد بن عامر
جامعة لونيسي علي، البليدة 2، الجزائر
aimad.ben@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/12/16 **تاريخ القبول: 2023/12/31** **تاريخ النشر: 2023/12/31**

الملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية المرتبطة بفكر العلامة المجدد عبد الحميد بن باديس-رحمه الله- من خلال دروسه وأنشطته وأعماله (خصوصا جمعية العلماء المسلمين، وكتاباته في الجرائد)، إلى تسليط الضوء على بعض الجوانب التربوية والتعليمية المضمَّنةَ فيها، ومن ثم مقارنتها بأبجديات المنظومة التربوية الحديثة التي توصل إليها الفكر البشري-تجربة وزارة التربية الوطنية الجزائرية-، للوقوف على مدى التطابق أو الانسجام، أو التباين بينهما.

تحاول هذه المقاربة إبراز ملامح المنظومة التربوية في فكره، من خلال نماذج مختارة: كحضور البعد الوطني في فكره، واهتماماته بقضايا أمته، وتفاعله معها تحقيقا للمصلحة، وعنايته بالمقاربة الاجتماعية المتكاملة، ... وغيرها.

الكلمات المفتاحية: المنظومة التربوية؛ ابن باديس؛ البعد الوطني ؛ المقاربة الاجتماعية ؛ الفكر البشري.

Abstract:

This research paper related to the thought of the renewed scholar Abdelhamid Ibn Badis - may God have mercy on him - aims through his lessons, activities and works (especially the Association of Muslim Scholars, and his writings in newspapers), to shed light on some of the educational and pedagogical aspects included in it. The paper seeks to compare these aspects with the fundamentals of the modern educational system reached by human thought - the experience of the Algerian Ministry of Education -, to determine the extent of similarity, harmony, or contrast between them.

This approach tries to highlight the features of the educational system in Ibn Badis thought, through selected models: such as the presence of the national dimension in his thought, his interests in the issues of his nation, his interaction with them to achieve interest, his attention to the integrated social approach, … and others.

Keywords: Educational system; Ibn Badis; National dimension; Social approach; Human thought.

مقدمة:

إن الأمم إنما تتقدم بسلوك طريق العلم، وطريقه ترسمه السياسة التربوية المتبناة من قبلها، والمتمثلة في منظومتها التربوية، ولأهمية هذه القضية ومركزيتها، أردنا أن نجري مقارنة علمية موضوعية بين أبجديات منظومتنا الجزائرية الحديثة، وفكر العلامة المجدد ابن باديس-رحمه الله تعالى- للإجابة على التساؤل العلمي الآتي: ما مدى التطابق أو التباين بين المنظومة التربوية الجزائرية وفكر العلامة عبد الحميد بن باديس؟

لبحث هذه المسألة بحثا علميا، قسمنا البحث إلى مقدمة وخاتمة وثلاثة مباحث: خصصنا المقدمة للتعريف بالموضوع، وذكر الإشكالية، ومنهج البحث، وخطته الإجمالية، ثم تناولنا في المبحث الأول منه التعريف بهذه الشخصية الإصلاحية، ثم تطرقنا في المبحث الثاني لأهم ملامح المنظومة التربوية ومعالمها، وأما المبحث الثالث فأجرينا فيه مقارنة بين بعض نماذج فكر العلامة ومعالم المنظومة، ثم حوصلنا في الخاتمة أهم النتائج المتوصل إليها.

وقد اتبعنا منهجية علمية مركبة من منهجين: منهج وصفي في المبحثين الأوليين، ومنهج مقارن في المبحث الثالث، وتهدف هذه الدراسة العلمية إلى استكشاف عبقرية المجدد المصلح عبد الحميد بن باديس في الشأن التربوي.

1. التعريف بالعلامة عبد الحميد بن باديس

ولد العلامة ابن باديس بقسنطينة سنة 1889م، ونشأ في أسرة عريقة الأصل معروفة بالعلم والجاه واليسار، صنهاجي الأصل، ينتهي نسبه إلى المعز بن باديس مؤسس الدولة الصنهاجية.

حفظ القرآن في سن 13 من العمر، وأخذ المبادئ الأولية عن شيخه حمدان لونيسي، ثم نال العالمِية من جامع الزيتونة، وأخذ عن العلامة الطاهر بن

عاشور، ثم رحل إلى الحجاز سنة 1912، وتعرف على الشيخ البشير الإبراهيمي، وفكَّرا سويا في إنشاء حركة إصلاحية.

كان يدرِّس في الجامع الأخضر كامل النهار، وفي الليل، وختم القرآن تفسيرا في 25 سنة، سنة 1938، ثم ختم الموطأ سنة 1939.

أصدر عدة جرائد: المنتقد، الشهاب، الشريعة، السنة، الصراط، البصائر، وكان له الدور البارز في نشر الوعي الصحيح، وتعرية المستدمر من خلالها.

من أهم أعماله تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي جمعت خيرة علماء الجزائر من مختلف التوجهات والمشارب.

توفي في 16 أبريل 1940، وكانت جنازته مشهودة. (ابن باديس، 1982، ص ص: 480-483)

2. ملامح المنظومة التربوية ومعالمها

2. 1. تعريف المنظومة التربوية:

عرفت بتعريفات كثيرة، تدور حول معانٍ محددة، ومن أجمعها، ما عرفها به المعهد الوطني الجزائري لتكوين مستخدمي التربية، وهي:

" المكونات الأساسية والمتفاعلة وفقا للمرجعية المبينة في مختلف الدساتير الجزائرية، وخاصة دستور نوفمبر 1996، الذي وضحت فيه التوجهات السياسية والاجتماعية والاقتصادية للدولة الجزائرية، في ظل التعددية الحزبية والانفتاح الاقتصادي، والمحافظة على الهوية الوطنية للمجتمع الجزائري وأصالته وقيمه، وبذلك تكوين فرد متماسك ومعتز بقيمه، فهي بذلك مجموعة الهياكل والوسائل البشرية والمادية التي أوكل إليها المجتمع تربية الأفراد."(1998، ص 12)

2. 2. معالم المنظومة التربوية:

2. 2. 1. من خلال القانون التوجيهي للتربية

الباب الأول (أسس المدرسة الجزائرية)، الفصل 1 (غايات التربية)

المادة 2: تتمثل رسالة المدرسة الجزائرية في تكوين مواطن مزود بمعالم وطنية أكيدة، شديد التعلق بقيم الشعب الجزائري، قادر على فهم العالم من حوله والتكيف معه، والتأثير فيه، متفتح على الحضارة العالمية.

- تقوية الوعي الفردي والجماعي بالهوية الوطنية، باعتباره وثاق الانسجام الاجتماعي، وذلك بترقية القيم المتصلة بالإسلام والعروبة والأمازيغية.
- تكوين جيل متشبع بمبادئ الإسلام وقيمه الروحية والأخلاقية والثقافية والحضارية.

الفصل 2 (مهام المدرسة)

المادة 4:

- ضمان اكتساب التلاميذ معارف في مختلف مجالات المواد التعليمية، وتحكمهم في أدوات المعرفة والمنهجية بما يسهل عمليات التعلم والتحضير للحياة العملية.
- ضمان التحكم في اللغة العربية باعتبارها اللغة الوطنية والرسمية.
- تمكين التلاميذ من التحكم في لغتين أجنبيتين على الأقل للتفتح على العالم.

المادة 6:

- تنمية الحس المدني لدى التلاميذ، وتنشئتهم على قيم المواطنة بتلقينهم مبادئ العدالة والإنصاف وتساوي المواطنين في الحقوق والواجبات، والتسامح؛ واحترام الغير، والتضامن بين المواطنين.

- تكوين مواطنين قادرين على المبادرة والإبداع والتكيف وتحمل المسؤولية في حياتهم الشخصية والمدنية والمهنية.(القانون التوجيهي للتربية، رقم 08-04، 2008، ص ص: 8-9)

2. 2. 2. من خلال المرجعية العامة للمناهج:

جاء في الديباجة: "وألح على المهمة الرئيسة، ألا وهي تدعيم الهوية التي تربط التلميذ بمجتمعه ووطنه، وتاريخه وفضائه الجغرافي."

أسس المناهج:

إن مهمة كل تربية هي إيصال ونقل القيم التي اختارها المجتمع لنفسه:

- قيم مشتركة بين كل الأعضاء: سياسية وأخلاقية، ثقافية وروحية، الهدف منها تعزيز الوحدة الوطنية.
- قيم فردية: وجدانية وأخلاقية، جمالية فكرية وإنسانية، متفتحة على العالم .

مرجعيات السياسة التربوية:

- المنظومة التربوية ذات طابع وطني، ديموقراطي، عصري، متفتحة على العالم.

تذكير بغايات المنظومة التربوية وأهدافها:

- قيم الهوية: التحكم في اللغتين الوطنيتين، وتقدير الموروث الحضاري الذي تحملانه.
- القيم الاجتماعية، القيم العالمية.

مرجعية تتعلق بالأمة وقيمها:

- الانتماء للجزائر باعتباره لحمة التضامن التاريخي قديما وحديثا.
- الشعور بالانتماء إلى أمة واحدة وشعب واحد، وهو شعور يرتكز على إرث تاريخي وجغرافي حضاري وثقافي يرمز إليه الإسلام.

- التفتح على حضارات العالم والقيم العالمية التي لا تتعارض وقيمنا.

في مجال الأهداف الاستراتيجية للمنظومة:

- ترسيخ العملية التربوية في الانتماء للجزائر. (المرجعية العامة للمناهج، معدلة وفق القانون التوجيهي للتربية رقم 08-04، 2008، ص ص: 7-11)

2. 2. 3. من خلال دفاتر الشروط: مادة التربية الإسلامية أنموذجا:

المواصفات البيداغوجية:

- مراعاة الترتيب والتكامل والترابط والتوازن بين المقاطع التعليمية وباقي المواد من حيث الموارد والتعلمات المستهدفة في إطار الكفاءات العرضية والبين موادية.
- تعريف المصطلحات الشرعية المقدمة بطريقة واضحة ودقيقة.

المواصفات الثقافية:

- اعتماد المذهب المالكي في المسائل الفقهية.
- اختيار نصوص تتضمن قضايا حديثة وتواكب التطور التكنولوجي، وتدعم البعد الوطني، وتسهم في التربية المستدامة وممارسة قيم العدالة والقانون، وتنمي الشخصية الوطنية الأصيلة التي تحترم مكونات الهوية الوطنية مع مراعاة الخصوصيات الجهوية والمحلية، كما تساعد على التعايش مع الغير واحترامهم.
- ربط العقيدة بالآثار السلوكية للمتعلمين.
- تنشئة المتعلمين على قيم الوسطية والاعتدال والمبادئ والمثل الإسلامية.
- تثمين وربط الأجيال بعلماء الجزائر ومرجعياتها سلفا وخلفا.
- الشمولية في طرح القضايا ومخاطبة العقل والوجدان لبناء شخصية اجتماعية متوازنة.

3. نماذج من فكر العلامة المجدد ومقارنتها بالمنظومة التربوية

3. 1. حضور البعد الوطني والديني في فكر العلامة ابن باديس:

ومن أمثلته تقريظه لكتاب العلامة مبارك الميلي:

جاء في مقدمة الكتاب: رسالة من الأستاذ عبد الحميد بن باديس إلى المؤلف:

كتب إلينا الأستاذ الجليل عبد الحميد بن باديس أحد شيوخنا وزعيم نهضتنا بنظرة في كتابنا، وهذا نص رسالته:

الحمد لله حصن الماء، مساء الثلاثاء 1347/1/15هـ

أخي مبارك،

سلام ورحمة، حياك الله تحية من علِم وعمِل وعلَّم، وقفت على الجزء الأول من كتابك (تاريخ الجزائر في القديم والحديث)، فقلت لو سميته (حياة الجزائر)، لكان بذلك خليقا، فهو أول كتاب صوَّر الجزائر في لغة الضاد صورة تامة سوية، بعد ما كانت تلك الصورة أشلاء متفرقة هنا وهناك، وقد نفختَ في تلك الصورة من روح إيمانك الديني والوطني ما سيبقيها حية على وجه الدهر، تحفظ اسمك تاجا لها في سماء العلا، وتخطه بيمينها في كتاب الخالدين ...

جازاك الله خير ما جازى به العاملين المخلصين للدين والوطن بعلم وتحقيق وإنصاف، والسلام عليك من أخيك: عبد الحميد بن باديس. (الميلي، 2007، ص ص: 11-12)

3. 2. إبداع الشيخ في الفكر، وحسن توظيف المعلومة في خدمة الواقع:

مما يدل على ألمعية الشيخ، وإبداعه في الفكر، وعدم تحجره على أقوال القدامى، بعض لطائفه في التفسير، مثل ما جاء في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير:

الطور الأخير لكل أمة وعاقبته:

في تفسير قوله تعالى:« وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا»(الإسراء، الآية: 58)

قال في التمهيد: "الأمم كالأفراد، تمر عليه ثلاثة أطوار: طور الشباب وطور الكهولة وطور الهرم، فيشمل الطور الأول نشأتها إلى استجماعها قوتها ونشاطها، مستعدة للكفاح والتقدم في ميدان الحياة، ويشمل الطور الثاني ابتداء أخذها في التقدم والانتشار، وسعة النفوذ وقوة السلطان، إلى استكمالها قوتها ... ويشمل الطور الثالث ابتداءها في التقهقر والضعف والانحلال إلى أن يحل بها الفناء والاضمحلال، إما بانقراضها من عالم الوجود، وإما باندثارها من عالم السيادة والاستقلال، وما من أمة إلا ويجري عليها هذا القانون العام، وإن اختلفت أطوارها في الطول والقصر، كما تختلف الأعمار." (ابن باديس، 1982، ص 162)

ويظهر إبداعه في تشبيه الأمة بالإنسان، وهو بذلك يشير إلى قوله تعالى: « اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ»(الروم، الآية: 54)(ابن باديس، 1982، ص 162)

3. 3. اهتمامه بقضايا أمته، وتفاعله معها تحقيقا للمصلحة:

يظهر هذا بجلاء في فتاوى كثيرة-جريئة- خدم بها أمته، من باب تحقيق المصلحة، وهو قريب في عصرنا من احترام السياسات المختارة من قبل الدول تحقيقا للمصلحة العامة، من ذلك: فتواه بتحريم التجنس واعتباره ردة وكفرا، وتحريمه لزواج الجزائري المسلم بالفرنسية:

- قال ابن باديس: "ما أكثر ما سئلنا عن هذه المسألة، وطلب منا الجواب في الصحف، ومن السائلين رئيس المتجنسين الأستاذ التركي (الذي لم يجد من يفتيه في تونس) وكاتبنا برسالتين، فأدينا الواجب بهذه الفتوى : بسم الله الرحمن الرحيم, وصلى الله على محمد وآله: التجنس

بجنسية غير إسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة الإسلامية، ومن رفض حكما واحدا من أحكام الإسلام عدَّ مرتدا عن الإسلام بالإجماع، فالمتجنس مرتد بالإجماع، والمتجنس - بحكم القانون الفرنسي - يجري تجنسه على نسله، فيكون قد جنى عليه بإخراجه من حظيرة الإسلام، وتلك الجناية من شر الظلم وأقبحه، وإثمها متجدّد عليه ما بقي له نسل في الدنيا، خارجا عن شريعة الإسلام بسبب جنايته... والعلم عند الله ... "(ابن باديس، 1937)

- سأل أحد أهالي (ميشلي) من القبائل الكبرى عن أبناء المتجنسين بالجنسية الفرنسية هل يجوز دفنهم في مقابر المسلمين ؟ فكان جواب ابن باديس كما يلي : بعد الحمد لله والصلاة والتسليم على النبي وآله: قال : "فابن المطورني، أي (المتجنس) إذا كان مكلفا، ولم يُعْلَم منه إنكار ما صنع أبوه والبراءة منه، فهو مثل أبيه لا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، وإن كان صغيرا فهو مسلم على فطرة الإسلام، يدفن معنا ونصلي عليه."(ابن باديس، 1937)

3. 4. اهتمامه بالمقاربة الاجتماعية المتكاملة، من خلال عنايته بمبدأ العلائقية بين العلوم (الكفاءات العرضية والبين موادية)

لإبراز هذا البعد في فكر العلامة نقف على إشكالية طرحت في مقال علمي، مفادها: كيف أمكن لابن باديس أن يجعل من الفعل التربوي وسيلة للتغيير الاجتماعي بدلا من أن يكون وسيلة لإعادة إنتاج النمط السائد أو الاكتفاء باسترجاع النموذج التاريخي؟

وكانت الإجابة كالآتي:

- التربية عند ابن باديس كمدخل للتغيير الاجتماعي.
- شرطية التجديد في المقاربة الاجتماعية.

- المقاربة الاجتماعية للتربية ودواعي التجديد (مراعاة الواقع السنني، الواقع الاجتماعي، الواقع الفكري).
- روافد التجديد في شخصيته (تفتحه على تجارب الآخرين وتوظيفه لها: المدرسة الجزائرية، الزيتونة، المنار، المدرسة السلفية). (لم يقصر جهده على علوم الشريعة فحسب، بل كان لمادة التاريخ والجغرافيا حيز معتبر، فقد نقل عنه بعض تلاميذه أنه كان يدرس مقدمة ابن خلدون في المسجد في دروس آخر الليل.)
- الأبعاد التجديدية في المقاربة الاجتماعية للتربية عنده.(علاق و رداد، 2020، ص ص: 677-706)

3. 5. المنهجية العلمية في تصور الدرس:

كان الشيخ مطبقا للمنهجية العلمية الحديثة التي يدَرَّسُ بها اليوم، مع الاختلاف في بعض المسائل التنظيمية، فعلى سبيل المثال، نذكر أنموذجين:

3. 5. 1. تعلم اللغات المحتاج إليها:

- **الحديث:** عن زيد بن ثابت قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كتاب يهود، قال: إني والله ما آمن يهود على كتاب، قال: فمر بي نصف شهر، حتى تعلمته، قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم."(رواه الترمذي وحسنه)

  بدأ الشيخ بتمهيد حول الكتابة بين اليهود والنبي ﷺ في المدينة.

- **الفوائد والأحكام:**

الأولى: كل قوم تربط بينهم المصالح لابد لهم من التعاون، ولا يتم التعاون إلا بالتفاهم، والتفاهم بالمشافهة والكتابة، فعلى القوم المترابطين بالمصلحة أن يفهموا بعضهم لغة بعض وخطه.

الثانية: هذه السنة أصل في اتخاذ الكتبة والتراجمة في الدولة، وما يشترط فيهم من العلم والأمانة. (ابن باديس، 1983، ص ص: 71-72)

3. 5. 2. نماذج من موضوعات العلامة في شرح الأحاديث:

للوقوف أكثر على تطبيق العلامة ابن باديس للمنهجية العلمية الحديثة في التدريس؛ نحيل القارئ على هذه النماذج المشرقة من كتابه "مجالس التذكير من حديث البشير النذير":

- اتحاد المؤمنين وتعاونهم.
- السيادة في البر لمن ساد البحر.
- نظافة الطرق والمجالس.
- حق الناس في التعلم.
- الفن الأدبي في الحديث النبوي.
- على ذكرى المولد النبوي الشريف. (ابن باديس، 1983، ص ص: 99/ 132/ 146/ 157/ 274/ 296)

خاتمة:

من خلال تطرقنا لفكر ابن باديس، مقارنةً بمعالم المنظومة التربوية الحديثة، نستنتج الآتي:

- لقد سبق العلامة ابن باديس رحمه الله تعالى زمنَه من حيث التنظيرُ في العملية التربوية.
- استفادة العلامة من تجاربه في الحياة: المدرسة الجزائرية، التونسية، الحجازية، المصرية.
- لمسنا في فكر العلامة أهم معالم المنظومة التربوية: البعد الوطني والديني، القيم الإنسانية والإسلامية: العدالة، الأمانة، روح المسؤولية ...
- اهتمامه بقضايا أمته العربية والإسلامية والجزائرية (الفتاوى التي تخدم المجتمع: كفتواه بتحريم التجنس بجنسية المستعمر الفرنسي.)

- تحرره من ربقة التقليد، واجتهاده في كثير من القضايا.
- إبداعه في معالجة القضايا الدينية.
- احترامه للمعايير العلمية المتبعة اليوم في إعداد البرامج: شرح المصطلحات، العناوين التوضيحية، التدرج من الأدنى إلى الأعلى، توظيف المعلومات الدينية لخدمة قضايا دينية، العلائقية بين مختلف الميادين المعرفية.

قائمة المراجع:

ابن باديس، عبد الحميد. 1937. جريدة البصائر. العدد 79.

ابن باديس، عبد الحميد. 1982. مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير. ط1. جمع طالبي عمار. الجزائر: مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف.

ابن باديس، عبد الحميد. 1983. مجالس التذكير من حديث البشير النذير. ط1. جمع طالبي عمار. الجزائر: مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف.

علاق، لامية و رداد، عبد الرحمن. 2020. المقاربة الاجتماعية للتربية عند ابن باديس وأبعادها التجديدية. مجلة الإحياء. المجلد 20. العدد 25. الترقيم الدولي: 4350-1112.

المعهد الوطني الجزائري لتكوين مستخدمي التربية. 1998. النظام التربوي والمناهج التعليمية. الجزائر.

الميلي، مبارك بن محمد. 2007. تاريخ الجزائر في القديم والحديث. الجزائر: دار الكتاب.

وزارة التربية الوطنية (الجزائر). 2008. القانون التوجيهي للتربية، رقم: 08-04. الجريدة الرسمية. العدد 04. السنة 45. المؤرخ في 27 يناير 2008. الموافق 19 محرم 1429هـ.

وزارة التربية الوطنية. 2008. المرجعية العامة للمناهج. معدلة وفق القانون التوجيهي للتربية رقم 08-04. المؤرخ في 23 يناير 2008. الجزائر: اللجنة الوطنية للمناهج.